

دعوة ثانية - السباق مع الزمن

مجلة التراث والمجتمع العدد 42 - من ملف العدد - د. روز ماري صايغ - 2006/06/20م - 10:00 ص



تهجير عام 1948

تهجير عام لأحد أعظم أعمال التاريخ الشفوي الذي حمل عنوان "دم إسبانيا"، وهو كتاب حول الحرب الأهلية الأسبانية بين أعوام 1936 – 1939، كتب روي فوستر: "توضيح الأعمال التاريخية الهامة.. معظم م عالم ذلك النزاع، وسيبدو الأمل بإضافة أي جديد للصورة العامة في تلك الفترة بلا جدوى. ولكن في إطار المعرفة العامة أو حتى التفصيلية، تبقى بعض الجوانب غير واضحة تماماً، منها الجانب الموضوعي وهو طيف من التجارب الحياتية للناس الذين شاركوا في الأحداث¹.

وما زال المؤرخون يصفون الأحداث التي دارت في فلسطين في فترة 1947- 1948 بمصطلحات تاريخية تقليدية، مثل الحرب، الهزيمة وغيره. وهذا تقديم خاطئ أساساً، لما وقع عام 1948 والذي وصفه المؤرخ الإسرائيلي إيلان بابيه ب"التطهير العرقي" وفي هذا السياق، برزت أبحاث ودراسات نور مصالحة حول "الترانسفير" في العقيدة والممارسة الصهيونيتين² ولغاية الآن، يبقى الأمر المفقود تماماً هو: تجربة الفلسطينيين العاديين التي مروا بها أثناء ترحيلهم عام 1948. وعادة ما يتم التطرق إلى الفلسطينيين المهجرين على أنهم مجرد إحصائية، وليسوا طرفاً سياسياً، أو حملة لأحداث تاريخية، فجوة تفصل هذا المقام بين ما يعنيه الفلسطينيون المهجرين عام 1948، وكيفية تقديمهم من قبل المؤرخين. يقوم العمل على التاريخ الشفوي الفلسطيني لغاية الآن، من قبل بعض الباحثين المستقلين والمنظمات غير الحكومية، وذلك حتى لا يبقى المشهد خالياً تماماً من تلك الأبحاث. ومع تلك الأبحاث ومع ذلك تحتاج الأعمال الفردية إلى التواصل مع بعضها لكي تأتي إلى المشهد بإضافات جديدة، وتعبئ الفجوات الموجودة وتبرز الأسئلة الهامة. يتطلب ذلك تعاوناً بين المؤسسات الموجودة في مختلف مواقع الشتات،

¹ . رونالد فريزر، دم إسبانيا: تجربة الحرب الأهلية 1936 – 1939 لندن: ألان لين 1979، ص 29.

² . نور مصالحة طرد الفلسطينيين (واشنطن: معهد الدراسات الفلسطينية، 1992).



والمجموعات المحلية، والباحثين المستقلين إننا بحاجة ماسة إلى التفكير في السؤال الأساسي، والذي قد يسهم في خدمة مستقبل المؤرخين. فهناك الكثير من جوانب طرد الفلسطينيين غير الواضحة، ومن الأمثلة على ذلك.

أولاً: التراكمات التي أدت إلى الطرد التي أدت إلى الطرد والتي ابتدأت في أواخر عام 1947، أي ما قبل الخطط الهجومية الصهيونية عام 1948، والتجهيزات التي كان بإمكان الناس العاديين ملاحظتها كمحلات الاستطلاع الصهيونية، واستكشاف الريف الفلسطيني، كذلك الأسلحة والأساليب التي استخدمت في مختلف مراحل الصراع الذي دام لمدة عام (مثلاً، الهجمات الجوية وكيفية وتاريخ استخدامها)، وكذلك استخدام الحرب النفسية والإشاعات، والدعاية السياسية الإذاعية، واستخدام الجواسيس، واستخدام المخاتير اليهود لنقل مختلف الرسائل.

ثانياً: هل استخدمت القوات الصهيونية/الإسرائيلية نمطاً موحداً للهجوم على القرى، كما اقترح أحد الباحثين في منطقة الجليل³؟ وهل كان هذا النمط محصوراً في منطقة واحدة أو في مرحلة واحدة من مراحل الطرد؟

ثالثاً: تنوع الأساليب واختلاف كثافة الطرد في مختلف المناطق، ويلمسه

القادة المختلفين، ثم أثناء المراحل المختلفة مثل الطرد أثناء الهدنة.

رابعاً: المجازر وحسب المؤرخ ميشيل بالامبو⁴ تزايدت الوحشية الإسرائيلية في المرحلتين النهائيتين للحرب. هناك حاجة لتعميم المعرفة بالمذابح التي ما زالت غير معروفة على نطاق واسع، مثل الصفصاف وعطيون والطنطورة ومجد الكروم والجش وعرب صبيح (بالقرب من كفر كنا) والدوايمة وبيير السبع ومناطق أخرى من النقب⁵.

خامساً: الاعتصام تطرق بالمبو إلى عدد من الشهادات على حوادث اغتصاب، مع أن هذا أحد الموضوعات التي نادراً ما بحث فيها المؤرخون الفلسطينيون لغاية الآن، ما عدا فيما يتعلق بمذبحة دير ياسين. فما كشفت عنه صحيفة هآرتس مؤخراً، عن حالة قتل واعتصام فتاة بدوية سنة 1949، يجب أن ينبهنا للحاجة لإجراء المزيد من الأبحاث من جهة، وإلى أهمية الشهادات الإسرائيلية من جهة ثانية.

سادساً: منع اللاجئين من العودة. ركز البحث الفلسطيني على تدمير القرى، مع العلم أن وسائل أخرى قد استخدمت، مثل قذف أماكن تواجد اللاجئين بالمنفجرات، وزرع الألغام في البيوت.

سابعاً: اختلاف ردود فعل الفلسطينيين. فمثلاً لماذا اتخذ سكان نفس المنطقة قرارات مختلفة، حيث قرر بعضهم الهرب فيما قرر البعض البقاء؟ وإلى أين توجه الذين غادروا فلسطين؟ إلى أين ذهب الناس؟ ولماذا؟

ثامناً: الخبرات المبكرة لهؤلاء الذين بقوا في ما أصبحت إسرائيل. لقد تم بذل بعض الجهد في هذا المجال من قبل باحثين منفردين⁶.

³ . سهيرة درباس في مجلة الجنى، عدد خاص حول التوثيق المحكي الفلسطيني 2002 ص. 23.

⁴ . مايكل لامبو، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948، (لندن: فابر 1987).

⁵ Revisiting the . تطرق بني موريس إلى وثائق جديدة تكشف عن اعتداءات حدثت في الحريجة في الجليل وفي برير بالقرب من بئر السبع : " الحرب من أجل فلسطين صفحة 49.49 Palestinian Exodus of 1948.



تاسعاً: لم تتضمن معظم الأعمال التي أنجزت أشخاصاً أصليين من القرى مدار البحث، ما عدا أعمال بعض الباحثين المنفردين في القدس، ويافا وحيفا ونابلس. هنالك حاجة لملء الفراغات المعرفية، من خلال توثيق مدى أوسع من القطاعات الاجتماعية تحتاج أن نضيف إلى السجلات ذكريات النساء عن الهجرة وما بعدها، والتي تختلف بالتأكيد عن ذكريات الرجال، وكذلك من كانوا سكان المدن بكافة طبقاتهم ومستوياتهم، والبدو من مختلف المناطق، والأقليات من مختلف الأطياف، مثل البهائيين والأرمن، وكذلك أسرى الحرب وأسرى معسكرات العمل، وكذلك المكفوفين أو أصحاب الإعاقات الأخرى⁷ وللاجئين كانوا أطفالاً أثناء هجرتهم⁸.

وما زال البحث في السنة الأولى التي تلت سنة 1948، حقلاً لم تشملها الدراسات الفلسطينية، علماً بأن الذكريات الفردية لدراسات خاصة بقطاعات معينة⁹ قد غطت جزءاً منها ومن بين النقاط التي لا بد من استعراضها:

أولاً: أنماط الاستقرار في الشتات، ما هي القوى والدوافع التي أثرت في حركة اللاجئين؟ ماذا كانت سياسات الحكومات المضيفة؟ وما هو مدى تحكّمهم في اللاجئين وأماكن تجمعهم؟

ثانياً: كيف تأثرت العلاقات الاجتماعية للاجئين بالشتات والفرقة (الانفصال)؟ كيف أعادت العائلات والمجتمعات الصغيرة التي تشتتت الاتصال ببعضها؟

ثالثاً: لماذا ساد الصمت الجماعي أوساط الفلسطينيين فيما يتعلق بالمذابح، وفي بعض حالات الاغتصاب الذي رافق عملية الطرد؟ لماذا تم تذكر مذبحه دير ياسين ونسيان المذابح الأخرى؟

رابعاً: كيف تم الحفاظ على صلات اللاجئين بفلسطين في السنوات الأولى؟ وكيف تمكن البعض من العودة؟ وكيف تمكن البعض من البقاء؟ وكيف طردت البقية؟

إن هذه الأسئلة بالإضافة إلى مجموعة كبيرة لا تزال تنتظر أجوبة شافية، حول تدمير المجتمع الفلسطيني في وطنه، وإعادة بنائه في الشتات أو تحت الاحتلال.

⁶ . صبري جريس: واحد من الكتاب الأوائل الذين بحثوا (بيروت: معهد الدراسات الفلسطينية 1968). المذكرات الشخصية، انظر فوزي الأسمر، أن تكون عربياً في إسرائيل (لندن، فرانسيس بنتنر 1975). وكذلك الإجراءات القانونية والعسكرية والإدارية التي اتبعتها الدولة الإسرائيلية الجديدة للسيطرة على الفلسطينيين: عرب إسرائيل 1948 - 1966، جابي عبد، وجميل عرفات، وسهيرة درباس، وشريف كناعنه وعواطف الشيخ في مجلة الجنى، 2002. ⁷ . انظر روان وديما الضامن في مجلة الجنى، 2002 صفحة 17 - 18.

⁸ . Ibid

⁹ . مثلاً التاريخ المحكي للنشاطات النسوية، فيحاء عبد الهادي، 1999 المرأة الفلسطينية والذاكرة: أوراق ورشة عمل حول التاريخ الشفوي السياسي للمرأة الفلسطينية (رام الله، دكتوراه في التخطيط الجنسي). لقد ساعدت السير الذاتية على ملء بعض الفجوات مثل فواز التركي، اللامتورات: يوميات المنفى الفلسطيني (نيويورك: monthly review press، 1972) فوزي الأسمر، opcit غادة الكرمة البحث عن فاطمة (لندن: فيرسو برس، 2002).



السباق مع الزمن:

يطرح العدد الآخذ بالتضاؤل للفلسطينيين الذين ما زالوا على قيد الحياة، ممن يتذكرون مرحلة الانتداب البريطاني أو التهجير عام 1947 - 1948، أو الفترة التي تلت النكبة مباشرة، أهمية خاصة لمسألة توثيق قصصهم. كان صالح عبد الجواد مصيباً عندما أسمى هذا المشروع "بسباق مع الزمن".

فالتقديرات تشير إلى أن عدد الفلسطينيين الذين زادت أعمارهم عن 70 عاماً في عام 2003 يقترب من حوالي 2% من مجموع السكان، (مع وجود فوارق بسيطة بين منطقة وأخرى). وهذا يجعل مجمل تعدادهم حوالي 205 آلاف، يعيشون في الأردن وسوريا ولبنان والضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، وكذلك في إسرائيل¹⁰. يبدو هذا الرقم كبير إلى أن نتذكر أنه يتناقص بشكل يومي. ليس هنالك أي جدل، حول مسألة أننا نعيش الآن آخر السنوات التي يمكننا فيها توثيق قصص كبار السن من الفلسطينيين. هذا هو الوقت الذي يجب أن نعزز فيه الصلات، ليس فقط بين منظمات البحث، ولكن أيضاً في أوساط المجتمع، وذلك لتجسيد أهمية تنسيق العمل في مجال التاريخ الشفوي. وفي خضم العجالة لإنجاز هذا المشروع، يجب أن لا ننسى هدفه السياسي وهو حماية حقوق اللاجئين، الآن وفي المستقبل.

¹⁰ . يعود هذا التقدير لعام 1995 وينقسم العدد إلى الأردن 39393، سوريا 6297، لبنان 18493 الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين 79479 إسرائيل 66774، يشمل الرقم الخاص بإسرائيل الأشخاص الذين تفوق أعمارهم 70 عاماً من مجموع عدد سكان إسرائيل، وليس من السكان الفلسطينيين فقط، مروان الخواجا: التواصل الشخصي.